الفصل الثاني

قضايا علوم الحديث

١ـ نشأة علوم الحديث

لم تكن مواد علوم الحديث مستقلة مجموعة في مصنف واحد ، وهذا ينطبق على مواد علوم القرآن أيضاً ، فنجد بعض المواد في كتب عامة ، ثم تتزايد ، ثم تتبلور إلى أن تصنف ويجلو العلماء مصطلح علوم الحديث .

والذي يراقب توالي كتب علوم الحديث يجدها أقرب إلى التماثل منها إلى الاختلاف في المنهج الفكري والتبويب ، وهذا أمر طبيعي ما دامت المواد العلمية نقلية يندر فيها الاجتهاد والتطلع الشخصي .

ولكن لانعدم نظرات تتسم بالجدة ، ولعل مصنفاً يضيف فقرة غنية بالمعرفة ، حقيقة بالانتباه والتوقير ، فهذه الكتب في نهاية المطاف متماثلة ومتكاملة ولا نستطيع الاستغناء عن واحد منها بحضور البقية .

كما نلحظ كثرة الاختصار والشرح والتعليق على كتاب سابق ، وهذا أمر طبيعي ، ويدل على نباهة علمائنا الأسلاف ، فقد يجد المصنّف قلة ضرورة بعض المواد في عصره فيقلل من حجمها ويضيق من توسعها ، وهذا جدير بالدارسين اليوم حتى ينتقوا المفيد والأكثر ضرورة للأمة في هذا العصر .

أما الشرح والتعليق فهما مواءمة عصرية أيضاً ، لأن المصنّف يرى

سالفه قد أجمل معتمداً على أفهام معاصريه وطلابه على وجه الخصوص ، فيضيء بعض الزوايا بالشرح والشواهد ، ويستدرك على سابقه بعض القضايا التي يراها مفيدة في عصره ، كل هذا بموضوعية علمية وتبجيل الجهد السابق وعدم بخس السلف الصالح .

وسنذكر بحسب الترتيب الزمني أشهر ما يوجد من الكتب المطبوعة في علوم الحديث ، القديمة والمعاصرة ، وربما نتجاوز كثيراً من الجهود المعاصرة ، لكونها تصانيف سريعة للتدريس ، أما اقتصاري على المطبوعة فلأني لا أود إرهاق القارئ بما لا يوجد ، إذ الغرض أن يفيد من الموجود :

ـ الرسالة ، للإمام الشافعي (٢٠٤هـ) رضي الله عنه ، وهو كتاب غير مختص بعلوم الحديث لكنه اشتمل على قضايا حديثية مثل النسخ والاختلاف والإرسال وغيرها ، وهو مطبوع بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله (١٣٧٧هـ) في مجلد واحد .

ويمكن أن نذكر في هذه المرحلة مرحلة التأليف غير المستقل بعلوم الحديث كلها ، نذكر كتاب رسالة أبي داود إلى أهل مكة وهي نصائح عامة في الرواية وطريقته في جمع السنن ، وكتاب العلل للإمام الترمذي وقد شرحه ابن رجب الحنبلي الذي حققه أستاذنا الدكتور عتر .

ولا ننسى ما جاء في مقدمة صحيح مسلم إذ تكلم على الرجال والوضاعين وأهمية الرواية وشيء من قوانينها .

ويذكر هنا ما كتبه الإمام البخاري مثل « التاريخ الكبير » في علم الرجال .

ومصنفات الحافظ محمد بن حبان صاحب الصحيح فله كتاب المجروحين في ضعفاء الرواة وبيان مروياتهم وهو مطبوع في مجلدين .

ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، للرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن (٣٦٠هـ) ، ولم يجمع كل المواد ، وهو مطبوع في مجلد واحد .

ـ معرفة علوم الحديث ، للحاكم النيسابوري : محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ) ، وفيه تكرار وإجمال ، وظل بحاجة إلى تعليق وترتيب وتهذيب ، وهو مطبوع في مجلد واحد .

ـ الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي : أحمد بن علي (٤٦٣هـ) ، تحدث عن قوانين الرواية ونقد الرجال .

ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي أيضاً ، وهو مطبوع في مجلدين بتحقيق د . محمد رأفت سعيد ، وكان الخطيب واسع المعرفة حتى عدّ من بعده عيالاً عليه .

ـ الإلماع في تقييد الرواية وضبط السماع ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) وهو تقليدي ، مطبوع في مجلد .

ـ ما لا يسع المحدّث جهله ، لأبي حفص الميانجي عمر بن عبد المجيد (٥٨٠هـ) .

ـ علوم الحديث ، للحافظ ابن الصلاح : عثمان بن الصلاح الشهرزوري (٦٤٣هـ) نزيل دمشق ، وكان مدرساً للحديث بالمدرسة الأشرفية ، وكان كتابه جامعاً في أحسن تبويب ، وكان مشهوراً باسم « مقدمة ابن الصلاح » ، وكانت الدكتورة عائشة عبد الرحمن رحمها الله قد حققته بهذا الاسم وكذلك الدكتور مصطفى البغا إلى أن حقّقه أستاذنا الدكتور نور الدين عتر باسم « علوم الحديث » فصار مشهوراً بهذا العنوان ، وقد عني به العلماء كثيراً ، قال الحافظ ابن حجر : « فلا

يحصى كم ناظم له ومختصر ومستدرك عليه ومقتصر ومعارض له ومنتصر » .

ـ التقريب والتيسير في سنن البشير النذير ، للإمام النووي (٦٧٦هـ) ، مختصر للإرشاد وهو مختصر لكتاب ابن الصلاح ، مطبوع منفرداً كما طبع مع شرحه تدريب الراوي ، شديد الاختصار كأنه متن للحفظ ، واختصاره أدى إلى كثير عن إغماض مسائل ابن الصلاح فلا مستغنى عن التدريب .

ـ إرشاد طلاب الحقائق إلى سنن خير الخلائق ، للإمام النووي ، وآخر من حققه فضيلة الدكتور نور الدين عتر وتجد عليه تعليقات جمة الفائدة .

ـ الاقتراح ، لابن دقيق العيد : علي بن وهب (٧٠٢هـ) وهو مختصر لكتاب ابن الصلاح .

ـ النكت مقدمة ابن الصلاح ، للحافظ العراقي زين الدين بن الحسين (٨٠٥هـ) وهو تعليق واستدراك على كتاب ابن الصلاح ، طبع في مجلدين .

ـ ألفية الحديث ، للحافظ عبد الرحيم العراقي أيضاً ، ويتضح من العنوان أنه ألف بيت من النظم في علوم الحديث ملخصة عن ابن الصلاح بلفظه وزاد عليه وقد شرحها في « فتح المغيث » .

ـ اختصار علوم الحديث ، للحافظ ابن كثير : إسماعيل بن كثير المفسر ، وقد شرحه الشيخ أحمد شاكر بعنوان الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، وفيه زيادات طيبة .

ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للإمام السخاوي (٩٠٢هـ) وطبع في مجلدين بنفس عنوان الحافظ العراقي .

ـ الخلاصة في أصول الحديث ، لشرف الدين الطيبي : حسن بن محمد (٨١٦هـ) .

ـ توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار ، للإمام الصنعاني محمد بن إسماعيل (١١٨٢هـ) وهو شرح لكتاب « تنقيح الأنظار » للوزير الحسني الصنعاني (٨٤٠هـ) والشرح مطبوع أول مرة بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في ثلاثة أجزاء .

ـ ظفر الأماني في مختصر الجرجاني ، للعلامة أبي الحسن اللكنوي الهندي (١٣٠٤هـ) وهو شرح لكتاب مصطلح الحديث النافع لأبي الحسن الجرجاني (٨١٦هـ) .

ـ نخبة الفكر ، للحافظ ابن حجر أحمد بن علي (٨٥٢هـ) ، وهو ضئيل الحجم واسع الفائدة ، وكان قد حقّقه أستاذنا الدكتور نور الدين عتر بعنوان نزهة النظر شرح نخبة الفكر .

ـ ألفية الحديث ، للإمام السيوطي (٩١١هـ) ، وكان يرى أنها أفضل من نظم ألفية الحافظ العراقي ، وفيها زيادات مفيدة ، وكان قد شرحها بنفسه في « البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر » ثم تفضّل بشرحها الشيخ : أحمد شاكر والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمهما الله .

ـ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، للإمام السيوطي أيضاً ، طبع في مجلد ، وطبع في مجلدين ، ويعد إلى جانب أصله كتاب ابن الصلاح أوفى الكتب القديمة في علوم الحديث .

ـ البيقونية ، للبيقوني : عمر بن محمد فتوح الدمشقي (١٠٨٠هـ) وهي منظومة ، من شروحها شرح محمد عبد الباقي الزرقاني (١١٢٢هـ)،

ثم شرحها الشيخ عبد الله سراج الدين في سورية رحمه الله ، وشرحها الشيخ محمد بن صالح العثيمين وطبعت بالرياض .

ـ شرح نخبة الفكر ، للعلامة علي بن سلطان القاري (١٠١٤هـ) مطبوع في مجلد واحد بيروت .

ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ) وهو تقليدي لا جدة فيه .

ـ توجيه النظر إلى أصول الأثر ، للشيخ طاهر بن صالح الجزائري (١٣٣٨هـ) ، وقد أقر بأنه يقلد القدماء ، ويبدو تلخيصاً لكتاب تدريب الراوي .

ـ المنهل الحديث في علوم الحديث ، للشيخ محمد السماحي رحمه الله من علماء الأزهر .

ـ علوم الحديث ، للدكتور صبحي الصالح رحمه الله وهو كتاب نفيس جمع بن علوم السند والمتن .

ـ منهج النقد في علوم الحديث ، لأستاذنا فضيلة الدكتور نور الدين عتر ، وهو كتاب جامع بين النقل والعقل بأسلوب عصري رصين مع استيفاء القضايا المهمة .

* * *